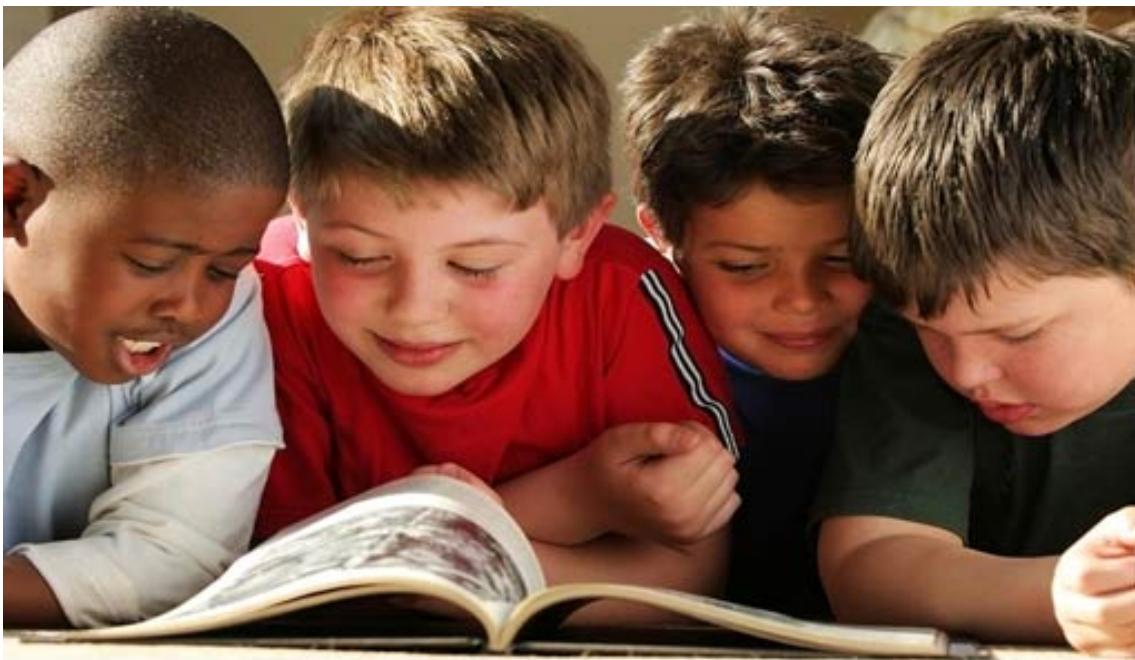


تنمية حُب القراءة في نفوس أطفالنا



إنّ طاهرة بُعد أطفالنا عن القراءة، وعدم اكتراشهم بها تستدعي التأمل و تستوقف الانتباه، وقد أثبتت الحقائق العلمية والبحوث الميدانية وأيدتها الملاحظة أنّ الولد الذي يشب بعيداً عن القراءة في صغره يظل عازفاً عنها، كارهاً لها... ويمكن ملاحظة ذلك عند أولادنا الذين تقدّس لهم مدارس العصر، البرامج الدراسية المكثفة، بشكل لا يستطيع معها الطفل أن يجد وقتاً للقراءة، وبالتالي أن يحب القراءة وتصبح نوعاً من الهواية لديه... أضف إلى ذلك أنّ الطفل إذا ما بقي لديه بعض الوقت ولو كان قصيراً، فإنه يسع إلى التلفزيون أو الكمبيوتر أو غيرها من الوسائل الترفيهية الحديثة، التي قصت على أي أمل بأن يتوجه الطفل إلى القراءة... ومع ذلك نجد أنفسنا أمام بعض التساؤلات: - ما هو الغرض من القراءة؟ وما هو دورها في حياة أطفالنا، وإلى أي مدى تسهم في نموهم؟ إنّ القراءة ضرورة حقها الإنسان الذي ميزه الله عن سائر المخلوقات بنعمة العقل والبيان ليتيسر له تبادل الأفكار مع أفراد مجتمعه وسائر الناس، ويعتبر الجاحظ إنّ القراءة هي: "الأداة الأقدم والأفضل بين كل ما أنتجته عبقرية الإنسان من وسائل التلقين". لذا كان اهتمام المسلمين بالقراءة والكتابة تلبية للأمر الإلهي في قوله تعالى: (اقْرَأْ مِنْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق/ 1-5)، وعلى هذا إنّ القراءة خير ما يتيح للعقل من أن يقارن ويوازن، ثمّ يستنبط ويستدلّ

ويستخلص، ومن ثمّ يكون لهذا أثره في السلوك بالقول والكتابة والعمل... ويؤكد ذلك قول بعض المربيين عن الغرض من الكتابة أنه: "هو اقتباس الأفكار عن اللغة المكتوبة.. كذلك فإنّ الغرض من الإسقاط هو اقتباس الأفكار عن اللغة المحكية.. والقراءة على نوعين: قراءة جهرية وقراءة صامتة.. ولعل المتعلم أحوج إلى القراءة الصامتة على اعتبار أنها أكثر شيوعاً أو استعمالاً في الحياة اليومية، وأدعي إلى سرعة الفهم من القراءة الجهرية..".

لقد تناول الباحثون العلماء القراءة من نواحها المختلفة بالدراسة والبحث من حيث أنواعها، ومن ثمّ توصلوا إلى عدة نقاط: إنّ القراءة لا يمكن أن تصبح عادة بالضغط والإكراه، ولا ينبغي أن تكون تحت أي ظرف من الظروف، ولا ربط هذه العادة بأشكال من العقوبات إن لم تمارس، لأن تقول له: إن لم تقرأ هذا الكتاب سنحرمك من كذا وكذا. كما لا ينبغي جعل القراءة للأطفال شرطاً لقيام الأهل بأداء شيء يريدونه. إن إتباع هذا الأسلوب قد يولد إحساساً لدى الطفل بالعداء نحوها.. وهذا ينافي القول بأنّ القراءة هي استجابة طبيعية لأشباع حاجات نفسية تدفع الأطفال إلى القراءة، فما علينا إلا أن نضع بين أيديهم كتاباً شائقاً الموضوع، حتى تصبح القراءة لديهم عادة ومتعة ومحبة منذ الصغر، ننميتها لديهم لما لها من دور في حياتهم. لنرى ما كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد عن سبب حبه للقراءة يقول: "لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأنّ عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني ولا تحرك كل ما فيّ من بواعث الحياة، والقراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة في مدى عمر الإنسان الواحد لأنّها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب. فكرتك أنت فكرة واحدة، وشعورك أنت شعور واحد، خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، أو لاقيت بشعورك شعوراً آخر، ولا قيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أنّ الفكرة تصبح فكريتين، أو أنّ الشعور يصبح شعورين، أو أنّ الخيال يصبح خيالين، كلا، وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر من القوة والعمق والامتداد". إنّ هذا الأمر يصدق إلى حد كبير مع أطفالنا، إنّ للقراءة دوراً في حياتهم لا يقل عن الدور الذي تلعبه في حياة الكبار.. والسؤال الذي نطرحه كيف نحبب ونشوق أطفالنا إلى القراءة؟ - كيف تجعل طفلك قارئاً؟ يبدأ المربi بتعويد طفله على القراءة الممتعة المتواصلة. فمهارة القراءة لا ترسخ في الذهن إلا بالمران والاستعمال.. وبالتالي تبدأ القراءة تؤتي أكلها، فمن خلالها يقول أحد المربيين: "تدرس القيم، وتعمق المبادئ، وتكون الاتجاهات، وتوسيع الميول، وترهف الإحساسات، وتنمي التذوق، وتشبع الحاجات النفسية المختلفة، وتوثق الصلة بين الطفل والمصفحة المطبوعة، إنها باختصار تضيف إلى عمره عمراً، وإلى حياته ما كان له أن يحظى بهما لو نشأ عزوفاً عن القراءة، بعيداً عن مصادر

المعرفة والتحقيق..". نتوصل إلى أنّ "للطفل حاجات نفسية متعددة يستطيع أدب الأطفال أن يسهم في إشباعها، وقبل أن نبين حاجات الطفل تتطرق إلى أهمية المكتبة المنزلية الصالحة.. وكيف نلبي حاجات الطفل النفسية. - أهمية وجود مكتبة في البيت: إنّ وجود مكتبة في البيت يساهم بشكل كبير في بناء المادة الفكرية والعلمية للأطفال والسبب في ذلك يرجع إلى أهمية الكتاب والاستفادة منه لأنّه يشكل الدعامة الأولى للمعرفة لما تقدم لهم من مناهل الثقافة، وتهديهم إلى مصادر المعرفة في أقصر وقت وبأيسر جهد. لذا يجب إعداد مكتبة ذات رفوف قريبة من الطفل يستطيع أن يصل إليها بسهولة ليختار ما يشاء منها. لأنّ المكتبة تشكل جزءاً أساساً من أركان البيت، ولها غرض ثقافي ولأنها كما قلت تقدم للأبناء المعلومات العامة للإستزادة من المعرفة والثقافة العامة، فالطفل يجب أن يتعرف على أشياء كثيرة تحيط به يؤثر فيها أحياناً وتأثير فيه أخرى نتيجة حاجة هامة من حاجاته العقلية وهي الحاجة إلى الاستطلاع. يقول أحد الكتاب: "كثير من الأسر التي لا توفر أجواء المطالعة والمكتبة يعاني أبناؤها من الفقر الفكري، ولذلك فإن بيوت العلماء والمفكرين تخرج علماء ومفكرين في حين بيوت الصناع تخرج صناعاً، فالجو العام في البيت له تأثيره الكبير في بناء الفكر المطلوب للأبناء بشكل متكامل". كذلك فإن أدب الأطفال إذا خصم صفحات للمسابقات، ولألعاب التسلية ينمي الذكاء والمعلومات وإثارة الرغبة في القراءة، ويمكن أن تتطور لتشجيع الأطفال ذوي المواهب في الأدب والفنون على تقديم انتاجهم في مسابقات أدبية أو فنية مناسبة يمكن نشر ما يفوز منها في مجلة مخصصة للأطفال. لذا يجب على المربى أن يختار لأطفاله الكتب التي تحتوي الفكرة والموضوع، والتسويق وألعاب والتسلية لتصبح القراءة لديه متعة يلجأ إليها في وقت فراغه. - من حاجات الطفل النفسية: حاجته إلى الأم: يقول أحد المربين: "فالقصص التي يشيع فيها حب الآخرين وحرم أفراد الأسرة بعضهم على بعض، والتآزر بينهم في مواجهة مواقف الحياة المعقدة ومشكلاتها المختلفة، نقول أن أمثال هذه القصص تشبع إلى حد كبير حاجة الطفل إلى الإحساس بالطمأنينة والأمن، إنّه يتتابع باهتمام شديد أحداث القصة ليرى كيف يسلك كل من أفراد العائلة تجاه الآخرين، كما يتتابع الخط الذي تنمو فيه هذه العلاقة". وكل ذلك له أثره الفعال في حياته داخل أسرته. شعوره بقيمة الذاتية: إنّ الطفل يريد أن يكون شخصاً هاماً معنى به له مكانه في أسرته ومجتمعه وأن يعترف به كشخص له قيمة ومكانة، لذا يساهم أدب الأطفال من خلال قصص: يحترم فيها الأب ابنه والأم ابنتها، وإن تقديم المدح وال الثناء للطفل على كل عمل يقدمه ينمي ثقته بنفسه. يضاف إلى كل ما سبق أن قراءة الكتب والقصص تبني عند الأطفال ثروتهم اللغوية. كما تساعد على اتقان اللغة العربية وغير العربية. وكلما أتقن اللغة سهل عليه فهمها واكتساب الكنوز العلمية والأكبية المدخلة فيها، كما أن إتقان اللغة العربية

تساعدهم على التحديد الدقيق لمفاهيمها فضلاً عن تنمية بعض المهارات فيهم. فلنحرص على الدقة في تشكيل الكلمات ليلتفت الأطفال منذ البداية إلى الكلمة الصحيحة. فعلينا كمربيين ومدرسين أن نجعل الطفل يألف هذه اللغة بجميع مفرداتها وتراكيبها وأصطلاحاتها وقواعدها على أتم وجه.. - ما هو دور الأسرة في تنمية ميول الأطفال في القراءة وتشجيعهم عليها؟ قبل أن نجيب على هذا السؤال يجب علينا أن نوضح أوّلاً مسؤولية الأسرة. لقد اهتم الإسلام بدور الأسرة لأنها كما يقول محمد لبيب النجحي: "هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يبدأ فيها الطفل بتكون ذاته والتعرف على نفسه عن طريق عملية الأخذ والعطاء والتعامل بينه وبين أعضائها.. وفي هذه البيئة الاجتماعية يتلقى أول إحساس بما يجب وما لا يجب القيام به".

كذلك اهتم الإسلام بالبيئة التي تحضن الطفل، لأنّه دائمًا يحتاج إلى أحضان ملئوها الرعاية والعون، وبيئة ثقافية يعيش فيها ويتشكل لأنّه شديد التفاعل والاندماج مع البيئة المحيطة به، وقد قصد بالبيئة الاجتماعية بأنها: "المجتمع البشري وعلاقات أفراده وجماعاته بعضهم مع البعض الآخر. فالبشر وال العلاقات البشرية على اختلاف أنواعها سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم مهنية أم ثقافية أم سيكولوجية أم غير ذلك يتألف منها البيئة الاجتماعية". إنّ بعض علماء النفس قام بتجارب على بعض الأطفال الذين يبلغ عمرهم أربع سنوات.. وجاءت النتائج مذهلة، ذلك لأنّ الطفل الذي يبلغ عمره أربع سنوات، وقد نشأ في وسط عائلة مستقرة ماديًا وأديباً.. ويعيش في منزل تتوافر فيه الكتب والمحلات.. يستطيع أن يتعلم أي شيء بسهولة تامة.. ودرجة ذكائه عادة تكون أكبر من درجة الطفل الذي ينشأ وسط الأحياء الفقيرة المعدمة ويعيش في منزل لا يهتم أحد فيه بالثقافة. نعود إلى دور الأسرة في تنمية ميول الأطفال في القراءة وتشجيعهم عليها، إن هنالك مجموعة من التوصيات التي يمكن من خلالها تحقيق ذلك: 1- بما أنّ البيت يأتي في مقدمة المؤسسات الاجتماعية الأكثر تأثيراً في الطفل وتكوينه لشخصيته، لذا يجب أن يكون كل من فيه قدوة صالحة لها دورها الفعال. وقد ذهب بعض علماء النفس إلى أنّ الطفل مقلد لوالديه في كثير من أفعاله، لأنّه النموذج الذي يجب أن يحتذى به ويؤكد ذلك قول أحد المربيين: "بأنّ القراءة شأن أي سلوك آخر تلعب القدوة فيه دوراً كبيراً في تربيته، ولنتصور طفلين أحدهما يرى والده يتصرف قبل أن ينام مجلة أو يقرأ كتاباً، وثانيهما طفل لا يعرف الكتاب منزله ولا يطرق بابه، فلننشر أطفالنا بأهمية الكتاب والقراءة لأنّ الكتاب عُرف على مر السنين لأنّه الصديق الأمثل، وأنّ القراءة هي الهواية التي تغذى العقل والروح، والأسرة الناجحة هي التي تعتنى بالكتاب وبنوعيته، وبإثارة اهتمام أطفالها نحوه وعانياً لهم بنطاقته وترتيبه... 2- من واجبات الأسرة كذلك إعطاء فرصة للطفل لل اختيار في مجال اقتناء الكتب التي يريدها بما يتناسب مع رغبته وقدراته وميوله دون أن نفرض عليه كتاباً معيناً.. والسبب في مراعاة قدرات الأطفال

وميولهم هو أن لا نرهقهم بقراءة كتاب يصعب عليهم فهمه وقراءته دون رغبة فيه. فعلى المربيين أن يختاروا لأطفالهم من الكتب ما يتناسب وأعمارهم وثقافتهم وميولهم وقدراتهم حتى تكون الفائدة أكبر والقطاف أنسج ويكون بذلك تلبية لقول الإمام علي (ع): "حدّثنا الناس عما يعرفون". وبالتالي إذا أغري الطفل بمطالعة الكتب التي تلائم سنه وميوله ودرب على القراءة في البيت وعلى مقاعد الدراسة رافقته هذه العادة الطيبة كل أيام حياته، ونكون بذلك قد أوجدنا به عادة وهواية ومنفعة يشكرنا عليها طيلة حياته. 3- ولتشجيع أطفالنا على القراءة ينبغي أن تخصص الأسرة جزءاً من ميزانيتها لشراء الكتب تثري بها المكتبة المنزلية.. كما أن عليها من فترة إلى أخرى أن تحرص على سماع ما يقرأ أطفالهم والإنصات إليهم لتحببهم بها وبيان اهتمامهم بالكتاب وبهم. كما ينبغي اصطحاب أولادنا إلى المكتبات العامة ومعارض الكتاب، لأن من شأنها أن تخلق رغبة قوية لدى الطفل في اقتناء الكتب، بل إنّ عملية ارتياح المكتبة العامة تصبح إحدى متاعب اليومية حيث تنمى لديه الاستقلال في تحصيل المعرفة.. فضلاً على خلق صلة طيبة بينه وبين أمين المكتبة لأنّه دائمًا يلبي متطلبات ورغبات الطفل في اختياره للكتاب، فضلاً عن اطلاعه على كل جيد في عالم الكتب. وأخيراً.. إن أعظم تشجيع للطفل لتعلم القراءة يكون بخلق الإحساس لديه بأن قراءة الكتب والمصحف والمجلات مهمة وممتعة ولها دورها الفعال في حياته الثقافية والاجتماعية... ونختم بقول أحد المربيين أنّ "الأمة التي يحسن كل أبنائها القراءة والكتابة، ويستطيعون الاستفادة منها، لي أفضل من حيث المستوى الاجتماعي، وأرقى حضارة وأسرع تقدماً، وأجدر بالاعتبار من أمّة عشرها علماء، وتسعه أعشارها أميون". فلنجعل الكتاب ثروتنا و حاجتنا، وصدق الإمام جعفر الصادق (ع) حين يقول: "احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها". وقال أيضاً: "إنّه سيأتي على الناس زمان هرج لا يستأنسون فيه إلا بكتبهم".